العرب
الإثنين 2019/09/23
السنة 42 العدد 11476

«ثورة الفتيات» مواجهات لا تنتهي من أجل البقاء

فيلم خيال علمي يتوّغل عميقا في سرد يوميات الناجين من الانهيار العظيم

تنتمي قصة فيلم "ثورة الفتيات" إلى ذلك النوع من أفلام الخيال العلمي الذي يعنى بما بعد الانهيار العظيم أو الديستوبيا التي تسيطر على سطح الأرض. ويجنح الخيال بعيدا في رسم ذلك المستقبل المجهول وتصبح قصة كهذه مساحة واسعة للتجريب وتقديم رؤى ومعالجات سينمائية مختلفة، ومنها هذا الفيلم للمخرجة الكندية يوفانكا فيكوفيتش الذي أرادت من خلاله أن تحقّق إضافة نوعية مختلفة لهذا النوع من الأفلام.

معالجة سينمائية مختلفة لثيمة الانهيار العظيم

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

قدمت المخرجة الكندية يوفانكا فيكوفيتش في فيلم "ثورة الفتيات" معالجة مختلفة عمّا تعوّده المشاهد في أفلام الخيال العلمي الذي يعنى بما بعد الانهيار العظيم، لكنها عادت كما في العديد من الأفلام الأخرى في معالجتها لقصة ما بعد الخراب والدمار العظيم، إلى الحديث عن الناجين من الكارثة وكيف تدبّروا أمرهم، وما هي التحديات التي يواجهونها وصولا إلى يوميات تفصيلية لشكل ومحتوى تلك الحياة الجديدة مع التركيز على المواجهة بين فريق للفتيات وآخر للفتيان.

> المخرجة يوفانكا فيكوفيتش أطنبت في سرد تفاصيل حياة الشخصيات، الأمر الذي لم يمكن فيلمها من تجاوز الرتابة والتكرار

وفي هذه القصة الدرامية يفترض أن البشرية جمعاء قد تعرضت إلى الفناء ولم تبق إلاّ فئة المراهقين والشباب هي الناجية، ومنهم ثلة من الفتيات هنّ موضوع هذا الفيلم.

وعلى هذه الخلفية تشكّلت عصابة تدعى "التيتان" ترتدي زيّا مميزا وأغلبها من الشباب والفتيان يطبقون أوامرهم على من يشاؤون ليقعوا في تصادم مع مجموعة أخرى هي "الراكتاك" من الفتيات المراهقات اللائي بقدراتهنّ المحدودة يحاولن درء الشر عنهنّ. وتقوم الدراما الفيلمية على المواجهة بين المجموعتين حتى تطغى على الفيلم صفة العنف ويشيع القتل والانتقام وتتمكن مجموعة الفتيات على ضعفها من الدفاع عن نفسها. وعلى هذه الأرضية تجري أحداث الفيلم، ولن نتجاوز تلك اليوميات التي تعرض أحداثا تتعلّق بالصراع من أجل البقاء بين المجموعتين.

وبسبب تكريس المخرجة يوفانكا فيكوفيتش ومعها كاتبة السيناريو كاترين كولينس قصتهما الفيلمية ضمن إطار الصراع والسجال بين المجموعتين، فإننا لن نشاهد تحوّلات استثنائية تذكر، كما أننا سنفتقد تلك الانتقالات البارعة والحبكات الثانوية التي تعمّق متعة المشاهدة، بل بالعكس، اعتمدت المعالجة الفيلمية على نمطية مألوفة في العديد من الأفلام السينمائية ممثلة في الحوارات واليوميات.

وفي حدود هذا النوع من المعالجة تكاملت عناصر التصوير والمونتاج والحوار في تقديم ما أرادت المخرجة وكاتبة السيناريو تقديمه، تفاصيل متسلسلة ومنطقية لحياة الشخصيات، حوارات معتادة في ما بينهم، انتقالات سلسة بين المشاهد، لكن كل ذلك لم يرتق بالفيلم إلى تجاوز الرتابة والتكرار.

ولا شك أن أفلاما من هذا النوع بحاجة إلى تحوّلات كبيرة، وإلاّ سوف يكرّس الناجون أفعالهم إلى مفردات حياتهم اليومية من دون مفاجآت تذكر تسهم في زيادة متعة المشاهدة.

وخلال ذلك كانت الشخصية الرئيسية نات (الممثلة ماديسون إسيمان) هي التي تميّزت في مقابل سكراتش (الممثلة بالوما كيتوفسكي) ليشكلا ثنائيا للتصدي لعصابة "التيتان" مع تأسيس خط سردي موازٍ يتعلق بالعاطفة والانجذاب المتبادل بينهما، ربما للتعويض عن الرتابة والتكرار وعدم وقوع أحداث مثيرة، ولهذا كان لا بد من جذبها باتجاه مسار آخر يتعلق بالعلاقة الشخصيات في ما بينهما.

وفي مقابل ذلك، وما دمنا في دائرة الشخصيات وأدائها، فالملاحظ أن هناك قدرا من التقشّف في اندفاع الشخصيات، بل هناك ضعف واضح أحيانا لا مبرّر له، وهنا تبدو الشخصيات مقيّدة وغير قادرة على قيادة الحدث وعلى الابتكار، وهي نقطة ضعف مهمّة كان بالإمكان معالجتها بطريقة مختلفة.

وعلى فرض أن عصابة "التيتان" هي الأكثر بطشا، وبالتالي هي من تمتلك المبادرة، إلاّ أنها بدت هي الأخرى متحفظة، وسرعان ما تخسر في المواجهة، وهي نقطة ضعف أخرى في هذه الدراما السينمائية.

منطقيا، وما دامت الدراما الفيلمية قد تأسّست على أساس قوتين دراميتين هما "التيتان" و"الراكتاك"، هنا كان لا بد من مواجهات أكثر شراسة وموضوعية، وكما ذكرنا آنفا، فإن الأدوات والوسائل الفنية وفرّت مناخا لذلك، لكن الخلل بدا واضحا في بناء الشخصية وحياتها ودوافعها.

وإذا مضينا في هذه الدراما، فلا شك أن العالم الديستوبي يترك وراءه خرابا كبيرا على جميع المستويات، وهو ما لم تعره المخرجة اهتماما، فالمكان في شكله المعتاد، والشخصيات النظيفة وملابسها التي اكتسبت شكل زيّ موحّد بالنسبة لـ"التيتان"، لم تكشف على مستوى المكان عما جرى من خراب أو ما هي أسبابه؟

ومع ذلك، لجأت المخرجة في تقديمها لبعض المعلومات عن الشخصيات إلى نوع جذّاب ومختلف، من خلال بافطات تحتوي الحوار، تلك التقنية التي تظهر عادة في مسلسلات الكوميكس، وهو حل جيّد في تتبّع المعلومات التي يُراد إيصالها إلى المشاهد وقد نجحت فيه مخرجة العمل، كذلك الأمر على صعيد المونتاج فقد استخدمت المخرجة وفريق المونتاج شكلا مميّزا في الانتقالات بين المشاهد، وهو أن يكون المشهد التالي في أعلى الشاشة، فيتم الانتقال إليه.

ولا شك أن الفيلم ينتمي إلى نوعية الأفلام قليلة التكلفة، الأمر الذي جعل الحلول البصرية والحركية المتاحة للمخرجة محدودة للغاية مكتفية بأداء الشخصيات والحوار في ما بينها من جهة، والتصوير في أماكن حقيقية من جهة أخرى، وهو ما بدا واضحا خلال مسار الأحداث.

والأكيد أيضا، أن الأدوات الفنية والتقنية المعتمدة في فيلم "ثورة الفتيات" أتت بمستوى يمكن التأسيس عليه لتقديم فيلم يعالج قضية الديستوبيا من زوايا مختلفة ومبتكرة، لكن بدت الحلول الدرامية في الفيلم محدودة للغاية.

ضياع الإرث الفني

فاروق يوسف
كاتب عراقي

حين يُقام معرض استعادي لرسام مهم مثل بول سيزان، فإن محتويات ذلك المعرض يمكن استعارتها من المتاحف العالمية التي تملك أعمال الرسام الفرنسي.

هناك كلفة ومشقة غير أن الأمر ممكن. بدليل أننا نشهد بين حين وآخر معارض استعادية لفنانين كبار من أمثال فان غوخ وكليمت ومونيه وروثكو وآخرين.

أما لو فكرت مؤسّسة فنية عربية على سبيل المثال بإقامة معرض استعادي للمغربي الجيلالي الغرباوي أو الجزائري محمد راسم أو المصري راغب عياد أو العراقي جواد سليم أو السعودي عبدالحليم الرضوي أو الفلسطيني إسماعيل شموط، فإنها ستضطر إلى نشر إعلان تدعو فيه العوائل التي تمتلك أعمالا للفنانين من أجل السماح لها باستعارتها.

وهو ما لا يمكن أن يؤدي إلى الغرض المطلوب. ذلك لأن تلك العوائل قد لا تثق بتلك المؤسّسة أو أنها لسبب أو آخر لا ترغب في أن يشاركها أحد في ممتلكاتها الخاصة.

وذلك يعني أن جهدا عبقريا وخلاّقا لقرن من الزمان ضاع من غير أن يكون هناك أمل في استعادته. ولم يكن ذلك الجهد العظيم ليضيع لولا أن حياتنا الثقافية كانت دائما سائبة ومفتوحة للصوص الذين انتحلوا مختلف التسميات ليستبيحوا كنوزها وليحصلوا من خلال المتاجرة بتلك الكنوز على ثرواتهم. وإذا ما عرفنا أن فنانا عربيا واحدا لم يخرج من هذه الحياة الفانية بثروة، يمكننا تقدير حجم الثروات التي نتجت عن أعماله بعد وفاته.

أتذكر جيدا أن العراقي شاكر حسن آل سعيد كان يبيع لوحاته بمئات الدولارات في الوقت الذي كان سماسرة الفن يبيعونها بعشرات الآلاف.

لقد ظُلم الفنانون. ذلك أمر مؤكد. غير أن المؤكد أيضا أن مصير الفن في العالم العربي هو الآخر كان قد سُلّم إلى الضياع. وتلك هي الكارثة.

ليس من باب التحدي إذا ما قلت أن متحفا مهما للفن العربي الحديث، مثل متحف الدوحة، لن يقوى على استعادة تراث فنان مثل محمد القاسمي الذي لم تمر على وفاته إلاّ سنوات.

«السيدة بيلينسكا وأسرار شوبان»: درس في الموسيقى والحياة

بعد "السيد إبراهيم وأزهار القرآن"، يصعد الكاتب الروائي والمسرحي إريك إيمانويل شميت على خشبة مسرحه الخاص "الضفة اليسرى" بباريس ليؤدي دوره في مسرحية من تأليفه عنوانها "السيدة بيلينسكا وأسرار شوبان"، ويحدثنا عن الفن والجمال واكتشاف أسرار الحياة.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

يعتبر إريك إيمانويل شميت من الكتاب الوازنين في الساحة الفرنسية، غزير الإنتاج، متعدد المواهب، لامس شتى حقول المعرفة والأدب والفنون. عرفناه عضوا في أكاديمية غونكور، ومؤلف روايات ناجحة أمثال "إكسير الحبّ"، "عندما كنت عملا فنيا"، "ليلة النار"، "الرجل الذي يرى عبر الوجوه"؛ وقصص طويلة آخرها "انتقام الغفران" التي نقلناها هذا العام إلى العربية (نشر مسكيلياني)؛ وكتابات فكرية أهمها "ديدرو أو فلسفة الإغراء"؛ ومسرحيات أمثال "طليقة هي الفراشات"، "الزائر"، "مدرسة الشيطان"، "خيانة أينشتاين"؛ وممثلا تقمّص دور البطولة في أشهر مسرحية من تأليفه هي "السيد إبراهيم وأزهار القرآن" التي تحوّلت إلى فيلم سينمائي من بطولة الفنان العربي المصري عمر الشريف.

وبعد ظهوره في تلك المسرحية الشهيرة، عاد إيمانويل شميت إلى خشبة مسرحه الخاص "ريف غوش" (الضفة اليسرى) بباريس، ليتقمّص أدوار مسرحيته الجديدة "السيدة بيلينسكا وأسرار شوبان" التي صدرت في كتاب السنة الماضية، ضمن سلسلة أسماها "سلسلة اللا مرئي" كان استهلّها بكتاب "ميلاريبا" عام 1997، وتتألف من حكايات منفصلة عن بعضها بعضا.

وهذا النص، الذي حوّله إيمانويل شميت إلى عرض مسرحي هو سابع حلقات السلسلة، ويروي فيه جانبا من سيرته الذاتية، يخص اكتشافه موسيقى فريدريك شوبان (1810–1849).

فعندما بلغ شميت التاسعة من عمره، سمع عمته تعزف مقطوعة لشوبان على البيانو لامست وجدانه، وولّدت لديه رغبة في تعلم العزف على تلك الآلة. تمرس بالعزف تدريجيا، وصار قادرا على أداء موسيقى باخ، وموزارت، وكلود ديبوسي، ولكن موسيقى شوبان ظلت تتمنع عليه. يعزف النوتة، ويحوّلها إلى أنغام ولكن دون أن يبلغ نور ذلك الكون الموسيقي ورخامته وعذوبته وذبذباته التي تدغدغ الوجدان، وتنفذ إلى شغاف القلب.

ولما بلغ العشرين، أي عندما التحق بمدرسة المعلمين العليا بباريس، قرّر أن يتابع دروسا في العزف على البيانو مع أستاذة موسيقى بولندية اسمها مدام بيلينسكا. كانت غريبة الأطوار، صارمة، تعيش وحيدة في شقة تتقاسمها مع ثلاثة قطط أطلقت عليها أسماء روبنشتاين (عازف البيانو البولندي) وهوروفيتز (قائد الأوركسترا السيمفوني الأوكراني) وألفريد كورتو (عازف البيانو الفرنسي).

كانت غريبة في كل شيء، حتى من جهة طريقتها المضحكة في التدريس. كانت تشترط عليه أن يستلقي تحت الآلة، يحدث دوائر في الماء، يصغي إلى الصمت، يمارس الحب بهدوء وهو يتملّى عيني عشيقته.. وشيئا فشيئا، ومن مفاجأة مذهلة إلى أخرى، يتعلّم الفتى إريك ما هو أكثر من الموسيقى، يتعلّم الحياة، وأسرار جمالها.

وبذلك ولد فتى جديد، أقل عقلانية من ذي قبل، مرهف الحسّ، شاعري الكلام، منفتح على الطبيعة والعالم والآخرين. فقد تعلّم أن أعلام الموسيقى ليسوا مجرد مؤلفي سيمفونيات، بل هم قادة روحانيون يساعدوننا ويعلموننا كيف نحيا.

ويعترف إيمانويل شميت أن ما رواه عاش أطواره في طفولته وشبابه، فقد كان في صالون بيت العائلة ببانو غامق اللون، تعذّب أخته الكبرى ملامسه وأوتاره دون أن يصدر منه ما يطرب. وفي مرة، جلست إليه سيدة واستخرجت منه أنغاما ساحرة، فاتنة، توقّف أثناءها الزمن، وغمر الغرفة نور، وصار للصمت أنفاس تتردّد في الأرجاء.

ما الذي جرى؟ يقول المؤلف إنه ظل يبحث عن سرّ تلك اللحظة، فتعلم الموسيقى، ودرس البيانو، ولكن شوبان الذي سمعه في تلك اللحظة الحاسمة من حياته ظل مستعصيا. كان يرى موسيقى ذلك العبقريّ البولندي تتراقص تحت أنامل أخرى غير أنامله، حتى صادف تلك المدرّسة، التي ساعدته على مطاردة سرّ شوبان.

وفي أعمال إيمانويل شميت، غالبا ما يكون اللقاء بامرأة فريدة في طبعها فرصة للحديث عن تصوّره الخاص للحب والفن وتمرير المعرفة، ولكنه في هذا العمل، يحدّثنا عن شبابه هو، في لغة شاعرية مرحة ساخرة ذات وقع موسيقي ساحر، في ديكور بسيط، شقة فاخرة تتبدى فيها بعض ما يؤثّث، مع بيانو، وعازف محترف، هو نيكولا ستافي.

ويتقمّص هنا دوره هو حينما كان شابا في العشرين، مثلما يتقمّص دور العمّة المحبوبة، ودور السيدة بيلينسكا، بوضع فرو ثعلب على كتفيه، أو بتحريك مروحة نسائية، ولكن دون أن يتصنّع صوت أنثى، بل يكتفي بتقليد طريقة عمّته البورجوازية في الكلام، وحركات أستاذته التي تتراوح بين الهدوء والتوتر على غرار مقطوعة لبيتهوفن أو باخ. ويبيّن لنا كيف يمكن أن نتجاوز عذاب الوجود بعشق الجمال.

وفي العرض تمضي موسيقى شوبان وكلمات إيمانويل شميت كلّ في طريق، ثم تلتقي وتتوحّد، فتغدو الكلمات موسيقى، والموسيقى كلاما شاعريا يأخذ المشاهد إلى قلب الإنسان، في رقة، وخفة، ونعومة.

"هي مسرحية تطرح أسئلة مثلما تطرح أجوبة"، كما يقول المخرج باسكال فابر، فهي لقاء حول تعلم الموسيقى وتعلم الحياة. فهي دعوة إلى عشق الفن، واتخاذه وسيلة لاكتشاف النفس ومعانقة مباهج الحياة.

> شميت تعلّم من معلّمته أن أعلام الموسيقى ليسوا مجرد مؤلفي سيمفونيات، بل هم قادة روحانيون يعلموننا كيف نحيا

تجاوز عذاب الوجود بعشق الجمال